قصص الأنبياء

آدم
عليه السلام

إعداد: شعبان مصطفى قزامل





تمهيد

آدم – عليه السلام – أول إنسان على الأرض وأول نبي ورسول . خلقه الله – عز وجل – لحكمة عظيمة ؛ هي عبادته وإقامة دينه في الأرض ، وتعميرها بالخير والإيمان .

وقصة خلق آدم قصة عجيبة ، فيها من آيات قدرة الله – عز وجل – ومشيئته .

فمن تراب وطين ، يخلق الله إنساناً من دم ولحم ، ينبض بالحركة .. يأكل ويشرب ، وينام ويصحو ، ويزرع الأرض ، ويحصد الثمر ، ويبني ويخترع ويفكر .

إنسان يستطيع بعقله ، الذي وهبه الله ، أن يروِّض الوحوش الكاسرة ، ويطوِّع الصخور والجبال العالية .

إنسان يسير على قدمين ، ويبطش بيدين ، ويرى بعينين ، ويسمع بأذنين .. كل هذا في أحسن تكوين وأجمل صورة . قال الله – سبحانه وتعالى – في القرآن الكريم : (**لَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**) [التين : ٤] .

بداية القصة

تبدأ قصة خلق الإنسان عندما أخبر الله – عز وجل – ملائكته بخلق آدم – عليه السلام – فقال تعالى : (**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**) [البقرة : ٣٠] .

فسألت الملائكة الله – عز وجل – واستفسرت عن حكمة خلق بني الإنسان ، وقد علمت الملائكة أن من الخلق من يفسد في الأرض ، ويسفك الدماء ، فإن كانت الحكمة من خلقهم هي عبادة الله ، فهم يعبدونه ، فقالوا لله : (**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**) [البقرة : ٣٠] .

فأجابهم الله – عز وجل – عن استفسارهم ، بأنه – سبحانه – يعلم الحكمة التي تخفى عليهم ، وأنه – سبحانه – سيخلق بني البشر ، ويجعل منهم الرسل والأنبياء والصديقين والصالحين

والشهداء والعلماء والعاملين لدين الله ، والمحبين له ، والمتبعين رسله ، قال تعالى : (**قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ**) [البقرة : ٣٠] .

وخلق الله – سبحانه – آدم من تراب الأرض ومائها ، ثم صوَّره في أحسن صورة ، ثم نفخ فيه الروح ، فإذا هو إنسان حي من لحم ودم وعظم ، وكان ذلك يوم الجمعة . قال النبي صلى الله عليه وسلم : " خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خُلق آدم ، وفيه أُدخل الجنة ، وفيه أُخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة " [متفق عليه] .

ومن تراب الأرض – الأحمر والأصفر والأبيض والأسود – ومن شمالها وجنوبها ، وشرقها وغربها ، خلق الله آدم ، فجاء أبناؤه ملونين ؛ فمنهم الأبيض ، ومنهم الأسود ، والأحمر ، والأصفر . ومنهم الطيب والشرير ، والمؤمن والكافر .

قال صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والسهل والحَزْن (الصعب) ، والخبيث والطيب " [الترمذي] .

ولما صار آدم حياً ، ودبَّت فيه الحركة ، علمه الله – سبحانه – أسماء كل شيء ، وأعلمه الخير والشر ، والحب والكره ، والتعامل مع الملائكة والطيور والحيوانات والجمادات ، قال تعالى : (**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**) [البقرة : ٣١] .

وأراد الله – عز وجل – أن يبين للملائكة فضل آدم ومكانته ، فعرض جميع الأشياء التي علمها لآدم على الملائكة ، وقال لهم :

(**أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) [البقرة : ٣١] .

فقالوا : (**سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**) [البقرة : ٣٢] .

فأمر الله آدم أن يخبرهم بأسماء هذه الأشياء التي عجزوا عن معرفتها ، فأخذ آدم يذكر اسم كل شيء يُعرض عليه . وعند ذلك قال الله – تعالى – للملائكة :

(**أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**) [البقرة : ٣٣] .

ودار حوار جميل بين آدم – عليه السلام – والملائكة ، حكاه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " خلق الله آدم – عليه السلام – طوله ستون ذراعاً ، فلما خلقه قال اذهب فسَلِّم

على أولئك – نفر من الملائكة – فاستمع ما يحيونك ، فإنها تحية ذُرِّيَّتك ، فقال : السلام عليكم . فقالوا : السلام عليك ورحمة الله . فزادوه ورحمة الله ... " [متفق عليه] .

وهذه التحية هي تحية الإسلام ، التس استقبلت بها الملائكة هذا المخلوق الجديد ، الذي سيعمِّر الأرض ، وينشر بين ربوعها عبير زهوره وأشجاره .

سجود الملائكة

أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم تشريفاً له وتعظيماً لقدرة الله على الخلق ، الذي يقول للشيء كن فيكون . قال تعالى : (**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) [يّس : ٨٢] .

وسجد الملائكة جميعاً ، وكان بينهم إبليس ، فرفض أن يسجد ، وتكبر على أمر ربه فسأله الله – عز وجل – وهو أعلم : (**يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ**) [صّ : ٧٥] . فَرَدَّ إبليس في غرور (**أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**) [صّ : ٧٦] .

فأخرجه الله – عز وجل – من رحمته ، وجعله طريداً ملعوناً ، قال تعالى آمراً إياه : (**فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ، وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**) [صّ : ٧٧ – ٧٨] .

فازداد إبليس كراهية لآدم وذريته ، وحلف بالله أن يزيِّن لهم الشر ، ويدفعهم إلى الرذيلة ، ويغويهم ، فقال : (**فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**) [صّ : ٨٢ – ٨٣] . فقال الله – تعالى – له : (**لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ**) [صّ : ٨٥] .

كانت هذه إرادة الله – عز وجل – فلو شاء أن يجعل إبليس يطيع أمره لفعل ، ولكنه سبحانه أراد ذلك لكي يمتحن طاعة الإنسان ، فمن خالف الشيطان وآمن بالله ، واتبع طريقه المستقيم ، فله الجنة والنعيم في الدار الآخرة ، يوم القيامة ، وله حب الله – عز وجل – ورضاه . وأما من يتبع سبيل الشيطان ، ويمشي وراءه ، فيرتكب الإثم ، ويفعل الشر ، ويفسد في الأرض ، فإن مثواه جهنم وبئس المصير .

خلق حواء

ذات يوم ، نام آدم – عليه السلام - ، فلما استيقظ وجد امرأة تجلس إلى جانبه ، فسألها : من أنتِ ؟

قالت : امرأة .

قال : ولِمَ خُلِقْتِ ؟

قالت : لتسكن إليَّ .

ففرح بها آدم وأطلق عليها اسم حواء ؛ لأنها خُلقت من شيء حي ، وهو ضلع آدم الأيسر .

وأمر الله – سبحانه – آدم وزوجته حواء أن يسكنا الجنة ، ويأكلا من ثمارها ، إلا شجرة واحدة نهاهما عن الأكل منها ؛ امتحاناً واختباراً لهما . فقال تعالى : (**يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**) [البقرة : ٣٥] .

وحذر الله – سبحانه – آدم وزوجته تحذيراً شديداً من إبليس وعداوته لهما ، فقال : (**يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ، إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى ، وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى**) [طـه : ١١٧ – ١١٩] .

فماذا قَدَّرَ الله – عز وجل – لآدم وزوجته حواء ؟

هل سيمتنعان عن الأكل من الشجرة ، امتثالاً لأمر الله ؟! أم سيأكلان من الشجرة ، ويستمعان لوسوسة إبليس ؟!

وكيف حاك إبليس مؤامرته الماكرة الخبيثة ؛ لينتقم من هذا المخلوق من الطين ، الذي كان سبباً – كما يرى – في طرده من رحمة الله ؟!

أخذ إبليس يفكر كيف يغوي آدم وحواء ، وبعد طول تفكر ، وضع خطته الشيطانية ، وذهب إليهما ، وقال : (**يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى**) [طـه : ١٢٠] .

ثم أخبرهما أنهم سيحصلان على الخُلْد والملك الدائمين إذا أكلا من تلك الشجرة ، وأقسم أنه لهما من الناصحين . فَصَدَّقَ آدم وحواء كلام إبليس ؛ ظنّا منهما أنه لا يمكن لأحد أن يحلف بالله كذباً ، وذهب آدم وحواء إلى اشجرة وأكلا منها .. وعندئذ حدثت المفاجأة ! فوجئ آدم وحواء

بشيء عجيب وغريب ، لقد أصبحا عريانين ، ليس عليهما من ملابس الجنة شيء ، ليس عليهما الثياب التي ألبسهما الله إياها في الجنة ، إنها مفاجأة أليمة ، لم تحدث إلا بسبب عصيانهما . وأصاب آدم وحواء الخجل والحزن الشديد من حالهما ، فأخذا يجريان نحو الأشجار ، يقطعان من أوراقها ويستران بها جسديهما . فخاطب الله – عز وجل – آدم وحواء معاتباً : (**أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ**) [الأعراف : ٢٢] .

فندم آدم وحواء ندماً شديداً على معصية الله ومخالفة أمره ، وتوجها إليه – سبحانه – بالتوبة والاستغفار ، فقالا : (**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**) [الأعراف : ٢٣] .

الهبوط إلى الأرض

قبل الله توبة آدم وحواء ودعاءهما ، وأمرهما بالهبوط إلى الأرض والعيش عليها .

وترك آدم وحواء درساً بليغاً لأولادهما ، فكل إنسان عليه ألا ييأس من رحمة الله ، ولا يقنط من مغفرته ، فإن فعل إثماً أسرع إلى التوبة ، وانقطع عن الشر ، وامتنع عن السير وراء الشيطان ؛ حتى يعيش حياة سعيدة .

وعاش آدم وحواء على الأرض ، وبدأ الاثنان مسيرة الحياة عليها .. وأحسا لأول مرة بألم البرد في الشتاء ، وشدة الحر في الصيف ، وعانا من الجوع والعطش ، وكان لا بد لهما من العمل الشاق ؛ حتى يعيشا ويستمرا في الحياة .

ووُلد لآدم وهو على الأرض أولاد كثيرون ، فكان يؤدبهم ويربيهم ، ويرشدهم إلى أن الحياة على الأرض امتحان للإنسان وابتلاء له ، وأن عليهم أن يتمسكوا بهدي الله ، وأن يحذروا من الشيطان ومن وساوسه الضَّارة .

وقد يتصور بعض الناس أن آدم وحواء كانا سبباً في خروجنا من الجنة ، بسبب عصيانهما بالأكل من الشجرة ، ولولا هذا العصيان لكنا في الجنة اليوم .

هؤلاء الناس مخطئون في تصورهم ؛ لأن الله – سبحانه وتعالى – حين أراد خلق آم ، قال للملائكة : (**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**) [البقرة : ٣٠] .

و لم يقل لهم إني جاعل في الجنة خليفة ، وكان يعلم أنهما سيأكلان من الشجرة ، فأراد سبحانه أن يختبر إرادتهما بعد الأكل من هذه الشجرة .. هل يستمران على المعصية ، أم يسارعان إلى التوبة ويطلبان العفو والرحمة من الله تعالى .

قصة ابني آدم

كان لآدم – عليه السلام – ابنان ؛ تقدم كل منهما بقربان إلى الله – سبحانه - ، فتقبَّل الله من أحدهما و لم يتقبل من الآخر ، فما كان من هذا الابن الذي لم يتقبل الله قربانه إلا أن حسد أخاه ، وحقد عليه ، وقتله ظلماً وعدواناً ، قال تعالى : (**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ، لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ، فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**) [المائدة : ٢٧ – ٣٠] .

ولما قتل ابنُ آدم (قابيلُ) أخاه (هابيلَ) لم يعرف كيف يواري جثمانه ، فأرسل الله إليه غراباً يحفر في الأرض ؛ فعرف ابن آدم كيف يدفن أخاه . فدفنه وهو حزين أشد الحزن ؛ لأنه أنهى حياة أخيه بيده ، وحرمه من العيش على الأرض ، وفَضّل نفسه على أخيه ، وسار وراء الشيطان . وكأنه كان يسأل نفسه : كيف أنصتُ إلى صوت الشر ، وأندفع خلفه . قال الله تعالى : (**فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**) [المائدة : ٣١] .

كانت هذه أول جريمة قتل إنسان على الأرض ، وكان سببها الطمع والمعصية وعدم مراعاة حدود الله – عز وجل - . و لم تخلف هذه الجريمة إلا الندم والحزن والخزي في الدنيا ، والعذاب والشقاء في الآخرة .

ومرت سنوات وسنوات ، وقابيل لا يستطيع نسيان جريمته . أما آدم – عليه السلام – فقد عاش بعد ذلك وسط أبنائه يدعوهم إلى الله ، ويعرِّفهم طريق الحق والإيمان ، ويحذِّرهم من الشرك والطغيان وطاعة الشيطان ، إلى أن لقي ربه ، وتوفى بعد أن أتم رسالته ، وترك ذريته يعمرون الأرض ويخلفونه فيها .

وتكاثر نسل آدم ؛ حتى ملئوا جوانب الدنيا وانتشروا فيها .

وأسكن الله – عز وجل – آدم السماء الأولى كما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فعندما صعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء في رحلة المعراج مرَّ بآدم – عليه السلام – في السماء الأولي ، وقيل له :

هذا أبوك آدم فسلِّم عليه .

فسلم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم .

وردّ آدم السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال :

" مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح " [متفق عليه] . وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس يوم القيامة يذهبون إلى آدم – عليه السلام – فيقولون :

يا آدم أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة ، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا ؟ فيتذكر آدم – عليه السلام – أكله من الشجرة ، فيستحي من الله ، ويطلب من الناس أن يذهبوا إلى غيره من الأنبياء فيمرون على نوح وموسى وعيسى وجميع الأنبياء – عليهم السلام - ، وكل واحد منهم يقول لهم كما قال آدم ، حتى يأتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فيطلبوا منه أن يشفع لهم عند ربهم ، فيأذن الله – سبحانه وتعالى – بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد